# الفضاء الدرامي وتحولات الشخصيات والحوار في شعر هيثم الزبيدي

## دراسة تحليلية

# The Dramatic Space and Transformations of Characters and Dialogue in the Poetry of Haitham Al-zubaydi: An Analytical Study

م. م. مشاعل جابر فرحان

Asst.Lect Mashael Jaber Farhan

جامعة ذي قار– الأقسام الداخلية

mashael12@utq.edu.iq

استلام البحث: ٢٠٢٥/٧/١٨م.

نشر البحث: ٢٠٢٥/٩/٣٠م.

١٤٤٧هـ ٢٠٢٥م

## الملخص:

يتناول هذا البحث تحليل البنية الدرامية في شعر هيثم الزبيدي من طريق التركيز على تحليل العناصر الدرامية للخطاب الشعري، ودورها في تحويل النص الي مشهد حي تتفاعل فيه ذات الشاعر مع المتلقي عبر أدوات درامية تضئُ النص وتمنحه انفعالاً داخلياً مميزاً، وقد اتبع البحث المنهج التحليلي النصي فضلاً عن الي آليات المنهج الدرامي والبنيوي للوصول الى الأبعاد الجمالية التي احتوتها النصوص الشعرية، وتتبع الشخصيات الشعرية وتحولاتها داخل القصيدة، والكشف عن الصراع الداخلي والتفاعل معه، وقد توصل البحث الى أنَّ شعر هيثم الزبيدي قد حمل طابعاً خاصا ميَّزهُ عن غيره، تمثل في بناء المشاهد ورسم الشخصيات وتشكيلها بصورة فاعلة داخل نصوصه الشعرية، كما وظف الحوار بوصفه أداة جمالية ودلالية تعبر عن التحولات الداخلية وتفاعلها الداخلي، وهذا منح الشاعر تميزا واضحاً في الشعر المعاصر.


**الكلمات المفتاحية: الشعر الدرامي، الفضاء الدرامي، الشخصيات، الحوار.**


## ABSTRACT:

This research addresses the analysis of the dramatic structure in the poetry of Haitham Al-Zaydi by focusing on analyzing the dramatic elements of the poetic discourse and their role in transforming the text into a vivid scene where the poet's self-interacts with the listener through dramatic tools that illuminate the text and provide it with a distinctive internal emotion. The research adopted a textual analytical approach in addition to the mechanisms of the dramatic and structural methodology to reach the aesthetic dimensions contained within the poetic texts, trace the poetic characters and their transformations within the poem, and reveal the internal conflict and engage with it. The research concluded that Haitham Al-Zaydi's poetry possesses a unique character that distinguishes it from others, reflected in the construction of scenes, drawing characters, and actively shaping them within his poetic texts. Dialogue was also employed as an aesthetic and referential tool that expresses internal transformations and their internal interactions, which granted the poet a clear distinction in contemporary poetry.


**Keywords:** dramatic poetry, dramatic space, characters, dialogue.

## المقدمة

**الحمدالله ربّ العالمين**

**أولاً: مشكلة البحث:**

تتضح مشكلة البحث في الاجابة عن: كيف يوظف الشاعر الفضاء الدرامي، والشخصيات، والحوار في تشكيل بنية شعرية تنطوي على طابع مسرحي وتوتر داخلي؟

**ثانياً: أسئلة البحث: وهي كالآتي:**

- ما ملامح الفضاء الدرامي في شعر هيثم الزبيدي؟
- كيف تتشكل الشخصيات الشعرية بصورة درامية داخل النص؟ وما وظائفها؟
- ما وظيفة الحوار داخل النص الشعري؟
- والاهم كيف تتكامل هذه العناصر لتمنح النص الشعري بعداً درامياً خاصاً؟

**ثالثا: أهداف البحث:**

يهدف البحث إلى تحليل المكونات الجمالية للنص الشعري،كما درس البحث طبيعة الشخصيات الشعرية وتحولاتها الانفعالية في الكشف عن فعل الحوار داخل الخطاب الشعري وآلياته في ابراز البنية الدرامية وأثرها في المعنى الشعري.

**رابعا: أهمية البحث:**

تبرز أهمية البحث في كونه يتناول تجربة شعرية معاصرة لم يعمد كثير من الباحثين الى تسليط الضوء عليها،وهي تجربة من الواقع المعاصر للقصيدة العراقية الحديثة،عن طريق تحليل عناصر مهمة (الفضاء، الشخصيات، الحوار) إذْ تُعدُّ حجر الأساس في النصوص السردية.

**خامسا: منهجية البحث:**

اعتمد البحث المنهج التحليلي كونه الاداة الاساسية في دراسة الشعر، فهي ترفد الباحث بـــأهم عناصر تحليل البنية الداخلية للخطاب الشعري واستخلاص الدلالات الجمالية والفكرية الكامنة داخل النص.

## المبحث الأول: الإطار النظري ودراسات سابقة

**أولاً: الإطار النظري:**

إنَّ التعريف بالشاعر هيثم الزبيدي هو البوصلة التي توجه الباحث نحـــو قـــراءة واعيـــة للنصوص، و تجنبه التشتت بين المفاهيم و الرؤى . وتكمن أهميته في أنّـــه يضـــع الأســـس اللازمة لفهم منجزه الشعري، و يمكن ذلك من خلال المحاور الاتية:

**أ ــ نبذة تعريفية بالشاعر الدرامي هيثم الزبيدي:**

هو هيثم كامل عيدان الزبيدي ولد في بيتٍ من الطين، في قرية (السيسبانة) وهي قرية صغيرة تقع على ضفة نهر دجلة في ريف ناحية الزبيدية التابعة إلى محافظـــة واســـط فـــي العراق وكان ذلك في الثامن عشر من أبريل عام(١٩٧١م)، لـــذا يعـــد الشـــاعر مـــن جيـــل السبعينات الذين شهدوا أحداثاً حقب عمرية ومعيشية قاسية [١]. تفوق في دراسته المتوسطة و التحق بمعهد اعداد المعلمين، ثم التحق بكلية ( ابن رشد ) فـــي جامعـــة بغـــداد، ثـــم اكمـــل الماجستير في تخصص الادب الإنكليزي و حصل على شهادة الدكتوراه من كلية الآداب، كما نشر بواكير شعره في جريدة صوت الطلبة، و أسس مع مجموعة من الشعراء رابطة شعرية في كلية التربية [٢] تمظهرت في نصوصه الشعرية عبر مشاهد حافلة بالصراع النفسي والتوتر الانفعالي، تميزت نصوصه الشعرية بالطابع الدرامي الذي يجمع بين الشعر والسرد بشكل فني جميل.

**ب ــ مفهوم الدراما وعلاقتها بالشعر:**

---

(١) الصويحلي، محمد، السيرة الذاتية للشاعر هيثم الزبيدي، مجلة آفاق حرة للثقافة، (بغداد، د.ن، د.ت).
(٢) المصدر نفسه .

الدراما كلمة ذات أصل يوناني dran تعني: فعل أو عمل ما، ثم انتقلت الكلمة من اللغة اليونانية الى اللغة اللاتينية من ثم بصيغة drama إلى معظم اللغات الحديثة، وارتبطت الكلمة بالمسرح خاصة [١]. ويبدو أن هناك علاقة وطيدة بين الدراما والشعر منذ زمنٍ بعيد. و قد شكلت هذه العلاقة تأريخ الحركة الدّرامية عبر عصورها المختلفة، وإن شابتها بعض مظاهر الانفصال في حقب تأريخية محددة؛ إلا أن الشعر امتزج بالنثر في الآونة الأخيرة، و مما لا شكَّ فيه انَّهُ يمكن الوصول إلى الشعر الغنائي من خلال الدراما لا يأتي اعتباطاً. فالأمة التي اعتادت الغنائية لابدّ لها من تحولات درامية من خلال ضبط انسيابية القصيدة، تمكن الشاعر المعاصر من خلال ما يملك من مهارات ووعي ثقافي أنْ يخوض غمار الشعر بجرأة، معبراً عن الدراما باللغة و العبارة، و استعمال التعبير الدرامي كالحوار و السرد لتجسيد تجربته الداخلية، إلَّا أن هذه النزعة الدرامية لا تعني إلغاء الذات و إنما تقليل هيمنها على المشهد الشعري، بحيث تُشكّلُ الذات جزءاً من المشهد، وليس كل المشهد؛ حتى لا تتحقق لها الهيمنة أو السيطرة الكلية على الموقف، ولا تكون في الوقت نفسه بمعزل عنه أو مستقلة [٢]. ومن هذا نفهم أنَّ الشاعر إذا كان مبدعاً يخلق توازناً بين ذاته و بين العالم الفني الذي تعكسه القصيدة ما يجعل النص الشعري ليس مجرد انعكاسٍ بل يصبح تمثيلاً موضوعياً لذاته و علاقتها بالعالم[٣]. فالابداع الفني الدرامي يرتبط بقدرة الشاعر على تصوير مواقف حياتية أو نفسية من واقعه الذي يعيشه، ولعل القصيدة الدرامية جاءت لتحتوي هذه المواقف عبر أبياتها، فهي التي تجمع بين الخصائص الأدبية للشعر و الدراما، أي انها تبنى على الدراما[٤] وهذا يفرض « توافر النص الشعري على حكاية (histoire) ؛ أي على أحداث حقيقية أو

---

(١)حماده، إبراهيم "معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية" (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٤م، ط٣) ص:١١٣.

(٢) ينظر:المرايات، دنيا عارف خليف، المصدر السابق، ص:٢٠.

(٣) المرايات، دنيا عارف خليف، المصدر السابق، ص: ٢٤ نقلا عن كتاب:كليب، سعد الدين "وعي الحداثة (دراسة جمالية في الحداثة الشعرية)"، (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧م).

(٤) فتحي النصري ، السردي في الشعر العربي الحديث، ص: ٦١ .

متخيلة، تتعاقب وتشكل موضوع الخطاب ومادته الأساسية »[١]، كما يشترط أن يتضمن النص الشعري حكاية، حقيقية كانت ام خيالية، تدور أحداثها في زمان و مكان محددين، يرويها راوٍ ما [٢] وهذا التداخل بين الشعر و القصة يؤدي إلى ظهور ما يعرف بالقصة الشعرية[٣] بوصفها « النمط الشعري الذي يقف على حافة القصة»[٤] أي أن القصيدة تشمل تقنيات القص الى جانب كونها فناً شعرياً؛ لتكون الشعرية هي التي تمزج او تجمع بين شكلين لكل منهما أهمية كبرى في الأدب، وإذا كان الشعر يصور جانب الحياة نفسها ودقائقها ولحظاتها، فإن القصة الشعرية تجمع بين هاتين الصورتين، وتجعلنا نحيا التجربة النفسية الواحدة في نطاق أوسع وأفق أرحب[٥]، كما أن « الشعر العربي على الرغم من كثافة تاريخه وصلابة انتمائه النوعي، لم يكن بعيدا عن هذا الجدل بين الأجناس الذي يزيد من اشتباكها وتشابكها»[٦].

**ثانياً: الدراسات السابقة**

شهدت الساحة النقدية عدداً غير قليل من الدراسات التي تناولت الشعر الدرامي، ومن أهم الدراسات السابقة كان منها:

١- الدّراما في الشعر، تقنيات التشكيل ومسرحة القصيدة الشاعر محمد مردان أنموذجاً " ريم محمد طيب الحفوظي، المملكة الأردنية الهاشمية: دار الخليج للصحافة والنشر، ط١، ٢٠١٨م.، تناولت الدراسة فاعلية الدراما وأثرها في تشكيل الحدث الشعري الدرامي في

(١) إبراهيم، نبيلة "فن القص في النظرية والتطبيق ، سلسلة الدراسات النقدية"( القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٩٠م) ص:٢٤٢ .

(٢) المرجع نفسة، ص:٢٣٨.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) مريدان، عزيزة "القصة الشعرية في العصر الحديث" (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٤م) ص:٣٢ .

(٥) ينظر: المرجع نفسه.

(٦) العلاق، علي جعفر "الدلالة المرئية ، قراءة شعرية القصيدة الحديثة" (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م) ص:١٥٧.

القصيدة وكيف يجعل الحدث فعال في النص الأدبي، فكان الاداء الدرامي من أهم دعائم النص الشعري وتطوره .

٢- وهج الدّراما مقاربة نقدية في شعر علي جعفر العلاق، محمد البدراني و آخرون، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٦م، ركزت هذه الدراسة على بيان فاعلية الدراما الشعرية و إضفاء الجمالية الشعرية على النص ورفد النص بالجانب التشويقي من خلال السبك الدرامي.

٣- العناصر الدرامية في شعر خالد محادين، نوال حمدان غثوان، إشراف: نبيل حداد، (رسالة ماجستير: جامعة آل البيت، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، ٢٠١٠- ٢٠١١م .

اشارت هذه الدراسة إلى المظاهر الجمالية في القصيدة المعاصرة وأثرها في الشعر العربي المعاصر . من خلال دراسة العناصر الدرامية واستجلائها في الشعر، وبيان الأثر الذي حققته داخل النصوص الأدبية.

٤- النزعة الدرامية في شعر عمر أبي ريشة (المحوى والفن)، سحر حسن عبد القادر، مجلة حولية (كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ٢١٠٧م). وقد درست علاقة الشعر بالدراما فضلاً عن بيان ملامح الدراما في القصيدة العربية المعاصرة من خلال شعر عمر أبي ريشة.

## المبحث الثاني:

## الجانب التطبيقي

### أولاً: الفضاء الدرامي(الزمان، المكان)

لقد استعان الشاعر هيثم الزبيدي، بالعناصر القصصية(الفضاء الدرامي، الشخصيات، الحوار) في نصوصه الأدبية، فضلاً عن التقنيات والرؤى الفنية والبناء الفني الناتج عن التوظيف مثل هذه العناصر، مواكبا القصيدة العربية التي اتجهت مؤخراً نحو البناء الدرامي،

حيث غدت الرؤى الشعرية تتألف من مجموعة من العناصر الوجدانية والفكرية، التي تتفاعل وتتصارع فيما، بينها فلجأ الشاعر هيثم الزبيدي لإستدعاء القصة إلى عالم القصيدة، من بـــاب التنوع والتجديد وفتح آفاق جديدة للتأمل والرؤى، وإغناء الشعرية وتعميقها وتوسيع التقبل لهذا التجديد، إذ تميز عنصر الزمن بقدرته على نقل الأحداث من حال إلى حال، ينعدم الحـــدث إذا لم يقترن بزمن معين، وإن أغلب القصائد نجد فيها الزمن محدد أي مدة معينة مـــثلا يـــوم وليلة وأحيانا نجده غير محدد، أي ولم يقيد بمدة محدودة . ولعل ما يلفت انتباه القارىء بشأن الزمن في نصوص هيثم الزبيدي، هو ارتباطه،فكلما ذكر الزمان ذكر معه مكان محدد. ويرفع من درجة ترقبه التي تسمى (فضاء التوقع)، حين يباغته بتقنية البناء الزماني والمكاني، هذا ما تتركز عليه الدراما في تحقيق الفجائية التي تحدث عندما تغير الأحداث وانقلابهـــا و تبـــدلها، حيث يظهر بشكل مفاجئٍ وغير متوقع تغيّر في الزمن أو الحدث، كما نلمح ذلك فـــي قـــول الزبيديّ وهو يقول في إحدى قصائده الشعرية (أفيقي من الحرب):

(( أفيقي من الحرب

هذا الصباح الصباح ... يُطِلُّ على خوفِكِ بارتيابْ

يحدّقُ في وجهك بارتيابْ

عسى أنْ يرى موكب الآفلين

يلفون قاماتهم بالسحابْ

وهذا ندىً أحمرُ القبعاتْ

يمرُّ على العشبِ ما بين شبّاكِ طلعتكِ وانتظاري

وهذي فلولٌ من الهاربين

على بعد قنبلةٍ خلف داري

وكنت، على قلقٍ، عندما اشتهي عطركِ في تخومِ

الليالي أشاغلُ صفصافنا بالغناء ))[١]

نجد أنَّ الشاعر يتنقل بين وجهات نظر متعددة و متناقضة أحياناً، فهو يبحث عن ملاذاً آمناً يخفي فيه ما يختلج بداخله من صراعات متداخلة، و ذلك من خـــلال أســـتعماله لأدوات متنوعة ؛ كالتناص و التقمص الأدبي، و المفارقات حتى فكرة الانبعاث، كما أنَّهُ يتحول مـــن التعبير الفردي (أنا) الى الجمعي (نحن) بكل الأبعاد الوجودية، ليصبح الشعر وسيلة للوجود و البحث عن الذات في العالم، للهروب من الواقع الى مأوى آمن يحميهم من الواقع .

و هذه ليست بظاهرة حديثة العهد، فكان الهروب منذ أَن كان الشعر، و جد هذا فـــي المشـــهد الشعري الأتي الذي يظهر مرحلة هروب متدرجة، تتراوح بين الخضوع التـــام و المقاومـــة البسيطة، و هو أسلوب ذكي يوجه نحو الشخصية الدرامية مع السخرية اللاذعة من الواقـــع، فنجده يطالبُ قائلاً:

((خذ الليلَ محفوفة بالنيازكِ أضلاعه والعويل

وهذا الهديل

امتطى غيمة في مهبّ الأصيل

وهذا الصهيل

نواحٌ على شمعة المستحيل

قل "العفو" وامضِ

ولا ترتجِ قفر هذي الديار

محالٌ يجودُ علينا بظلٍّ نخيل

خُذ الليلَ وامضِ

وخُذ حفنة عذبة مثل "ماء العروس"

---

(١) الزبيدي، هيثم كامل، ديوان: ما قال لي أحدٌ هُزمت، قصيدة (أفيقي من الحرب)، ص:١٠٩

وخذ قشة يختفي خيط عرس الشموس)) ....

تظهر آثارٌ وانعكاساتٌ تركتها جماعة الستينيات و الخمسينيات بشكل واضح على شعر هيثم الزبيدي و هذا امر يتشاركه مع العديد من الشعراء العرب المعاصرين .

تركز الصياغة الشعرية على تصوير الأحداث و تجسيد معالم الأمكنة و الأزمنة و الأشياء، بما يتيح إمكانات تدخل القارئ في أجواء النص بعمق أكبر، فتمنحه إحساساً أقوى بالحركة و المكان و الزمان، ورؤية أوضح لما يجري فيقول:

((وخذ لون سنبلةٍ من رماد

عليها ذوت مقلة الانتظار

وخذ دبكة في ليالي الحصاد

وخذ من مساء السكون اعوجاج الهلال

وخذ عيدَ من لم يغنِّ بِعيدٍ

وخذ لون سنبلة من رماد )) [١]

يستعمل الشاعر هذا الأسلوب ليجذب انتباه القارئ، و هذه التقنية تعتمد على الاغراب ليبعد الحدث عما هو مألوف، و لإضفاء الغموض عليه، و يتجلى ذلك من خلال ذكاء الشاعر و مدى إدراكه الفني للشعر:

((أنا ما أراد أبي أن أكون

أنا ما أرادت لي الراعيات

أنا ما أرادت لي القابلات .....

الدروب .... التلال، المقابر والنائحات

---

( ١) المصدر نفسه ، ص: ٧٨

أنا ما أرادت لرأسي الدروس

مَضيتُ بلا حفنةٍ عذبةٍ مثل "ماء العروس" " (١)

ففي ذلك الحدث الدرامي نجد الشاعر لا يبوح بذلك كلِّه مرة واحدة، بعد إدراك المقصود و إمعان النظر والتدقيق في لهجة الخطاب .

أمّا دراما المكان فقد كان لها حضورٌ مميزٌ في قصائد الزبيدي الدرامية وهنا نقصد "بالمكان" هو مسرح الأحداث التي تشكل النص الأدبي، فالإنسان في الوقت الحاضر أصبح يعيش في أمكنة متعددة بفضل التقنيات الحديثة. وقد وصف "عدوان نمر" المكان: بأنه هو المرآة للمتلقي، وهو لوحة فنية التي فيها من الإيحاءات المؤثرة أكثر ما فيها من خطوط صماء. لذا فإن على المتلقي أنْ يدرك كيف يحرر صور المكان الموجود مسبقا من النص(٢).

تجلى الموقف الشعري في النص الذي صاغه الشاعر الزبيدي بأسلوب فني متميز، والذي كشف عن دلالات عميقة و صياغة محكمة و أهمها الحبكة الدرامية التي اعتمدها في صياغة حواره الشعري،حيث ينتقل الشاعر من حركة الى أخرى، و كان القارئ في عرض مسرحي، وهنا تبرز براعة الشاعر في الحوار الداخلي و الخارجي للتعبير عن شخصية واحدة بأصوات متعددة من خلال اقنعة مختلفة، كما دمج بين الشعر و المسرح لينتج قصيدة درامية استعمل فيها تقنيات ؛ كالحوار و الصراع النفسي و السرد المسرحي.

يتضح لنا أن الشاعر "هيثم الزبيدي" يترك الزمان و المكان مفتوحاً ولا يحددهما، حتى لو كان وصف الأماكن في شعره غير محدود . لكنه لا يتجاوز الوصف لتقنيات خيالية مصطنعة تختفي فيها ذات الشاعر؛ ليُعبّر عما يجول في ذهنه، ويكتفي بالشعور ليجمع شتات القصيدة، وينتصر بالحب على سلبيات العالم و يسمو إلى المفهومات ويقع في التكرار أو مجانية القول

(١) الزبيدي، هيثم كامل، ديوان شبار الشوك، قصيدة (قُلْ العفو)، المصدر السابق، ص:١٤-١٦.

(٢) عدوان نمر عدوان، المكان في الرواية الفلسطينية بعد اوسلوا ١٩٩٣ رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية ٢٠٠٥، ص ٢٤ .

أحياناً [١]، فنجد الإمكانيات الشعرية الدرامية قد اتخذت في شعرهِ منحىً يُقارب لما يصفهُ الناقد "دي لويس" إذا أردنا ان تكون القصيدة شيئاً عظيماً، فيجب أن تكون لها علاقة بالحاضر، ومهما يكن موضوعها فيجب أنْ تعبر عن شيء حي في الذهن الذي تصدر عنه. وأينما يكن جسدها يجب أن تكون روحها [٢]ونجد جمالية المكانية في قصائد هيثم الزبيدي واضحة مرتبطة بعنصر الزمن والحدث فيقول في قصيدة ( صغار التوت):

لدى أي مقبرة نلتقي ؟

جميع المقابر غير التي في قرانا غبية

وكل شواهدها أنكرتنا .

يزف الصباح الغريب بأشلائنا للضفاف الغربية

رحنا نفتش عن بقعة لا نيتم فيها ولا نزدرى

ولا يأكل الليل فيها القرى

ولا يفترى

على أرضها أنها أكلتنا

ولا يفقون عيون النخيل

لكي لا يرى

جماجم أخوته في الطفولة

اذ يقطفون التي أينعت

---

(١) ينظر:دوّام، مجدي عبد المؤمن "البنية الدرامية في شعر المهجر" ((القاهرة: دار الكتب، ٢٠٠٧م) ص:٥٦.

(٢) ينظر:دي لويس، سيسيل "الصورة الشعرية" ترجمة: أحمد نصيف الجنابي، سلمان حسن إبراهيم، ومالك ميري، (بغداد: دار الرّشيد للنشر، ١٩٨٢م) ص:١١٢.

والتي ليس بعد يدسونها تحت الثرى

تمر المحطات تلو المحطات

تنكرنا حين نلتم تحت تلك النجوم الغربية

تشتم غربتنا كل هذي الشوارع

هذي المصابيح .. ترشقنا بالضياء الغريب

فنبدو عراة بما كان فينا غداة النزوح

وندعو أئمتنا الواقفين على سلم الموت

كي لا ينوح .. (١)

في هذه القصيدة اعتمد الشاعر على عنصر السرد في توظيف فنيات الحوار، وذكر أماكن الحزن والجزع والموت والمقبرة والمحطات والشوارع، ليبرز لنا قيمة المكان وجماله في الشعر ومن خلال هذه القصيدة ذكرنا بعض من الأماكن التي ذكرت في ديوان هيثم الزبيدي وقد نجح الشاعر في تصوير الأماكن بشكل جميل بحيث يستطيع القارئ أن يحس بجمال شاعرية المكان، كأنه حاضر، وقد استطاع الشاعر تطوير اللغة لخدمة الخيال وتمنحة القوة المؤثرة في النص الشعري.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنَّ محاولة ترتيب الأحداث ترتبط فيما بينها برابط معين ؛ ليجمع شتاتها، فيتم وتنظيمها حسب فكرة موحدة، بحيث تتكامل معاً بطريقة تبدو فيها صورة متكاملة أو قصة متجانسة، و من خلال تقنية المونتاج يصبح من الممكن التنقل عبر الزمان والمكان ما يحول العبارات المتناغمة إلى لوحات تشكيلية لها أبعاد فكرية متعددة تحمل في طياتها عمقاً دلالياً و قوة تعبيرية (٢) على الرغم من أن الشاعر قد عبَّر عن الحياة اليومية

(١) الزبيدي، هيثم كامل، ديوان: ما قال لي أحدٌ هُزمت، قصيدة (أفيقي من الحرب)، ص: ١٦٥.

(٢) ينظر: الخليل، سمير وآخرون "التوليف (المونتاج) في الشعر العربي المعاصر" مجلة كلية التربية الأساسية، (العراق: ع:٥٣، ٢٠٠٨م) ص:٢٣.

العادية من خلال قصيدةٍ تنتمي إلى اتجاه الشعر الدّرامي الملحمي، و نقصد به الشعر الذي يكون جزءاً من تفاصيل الحياة اليومية البسيطة، متجاوزاً الزخرف البلاغي و اللغوي الذي ساد العصور السابقة، وباختصار فإن هيثم الزبيدي قدم في قصائده صورة صادقة عن الواقع و الذات ما يجعل القارئ يشعر بأنها تعبر عنه لذلك نجد أنَّ بساطته لا تخلو من الدرامية، إذ عكس معاناة الأفراد في المجتمع، و من ذلك تصويره للمرأة و تجاربها الحياتية دون أي تكلف أو تغيير فلسفي، و هنا جسَّد مقولة الدكتور عز الدين اسماعيل: إن الإنسان في لحظات الصراع و مواجهة التحديات، قادرٌ على أن يقدم إنتاجاً درامياً فذ و رؤية فلسفية تفسر لنا الحياة [١].

إنّ النصوص الشعرية للزبيدي تكشف عن سيطرة الحزن كعنصر مركزي، يعكس العلاقة الوطيدة بين الشاعر و الوجود و رغبته في استنطاق الحياة لانتشالها من الغموض، و تتجلى المفارقة الدرامية من خلال الثنائيات الضدية، حيث يصور مشاهد متناقضة تخلق توتراً فنياً في داخل النص، فحركة الفجر –بظهورها و اختفائها – أصبحت فعلاً دراميـاً مشحوناً بالصراع اللغوي،الذي يجمع بين الأضداد مثل ( النور و الظلام، الموت و الحياة، الحزن و الفرح،الانزواء والانفتاح ).

ومن هذا المنطلق يمكننا القول إنَّ القصيدة العربية – ولا سيَّما الدرامية – اعتمدت بشكل أساسي على أدوات و أساليب درامية في البناء الفني ؛ ذلك أنها في تحول دائم و حركة مستمرة في الأزمنة والأماكن؛ لتعبر عن التناقض الإنساني بأبعاده المختلفة و تكون أكثر موضوعية حتى عندما يكون المعبر عنه موقفا أو شعوراً ذاتياً صرفاً [٢]، وإذا جزمنا بأنَّ الدراما هي روح الحكاية، فإنه ينبغي علينا القول إنَّ الصراع هو روح الدراما [٣]، كما أنَّ الصراع يشكل الأساس الذي تبنى عليه الدراما و الذي ينتقل لاحقاً إلى الشعر ؛ ليصبح مكوناً أساسياً في بنية القصيدة، ليصبح فيما بعد أداة فنية محورية في التعبير الأدبي .

**ثانيا: دراما الشخصية**

---

(١) عز الدين، إسماعيل، المصدر السابق، ص:٢٨٤.

(٢) ينظر: المصدرنفسه، ص:٢٧٩.

(٣) عثمان، عبد الفتاح "بناء الرواية" (مسكو، مكتبة الشباب، ١٩٨٢م) ص:٨٢ .

تحتل الشخصية مكانة مهمة في شعر هيثم الزبيدي، كونها الركيزة الأساسية التي تفصح عَن مكنونات الذات النفسية، وخباياها الزمانية (الماضية والمستقبلية)، وقد اعتنى الشاعر ببنائها ورسم ملامحها الدقيق عَن طريق الاختيار الواعي أولاً، ومن ثَمَّ تمكينها من التعبير بصوت الحوار المُقْنِع فجعلها حيوية فعّالة، إذ لا بُدّ من وجودِ شخصيةٍ رئيسيةٍ، أو شخصيات تعطي أبعادًا مُحددةً ومنطقيةً لتصرفاتِها، و هذه الشخصيات تمثل محوراً مركزياً في العمل، تعكس الصراعات و الأفكار التي يسعى الشاعر الى إيصالها،كما أنها تتفاعل بشكل ديناميكي مع بقية العناصر الدرامية فتؤثر و تتأثر بها ما يجعلها جزءاً من النسيج العام [١].

ويمكننا التأكيد أنَّ الشخصيات تتحدد ضمن العمل الدرامي في شعر هيثم الزبيديِّ ولها أبعادٌ ثلاثة هي:

**البعد الأول:** البعد المادي أو الوصفي ونقصد به تحديد عناصر الشخصية الرئيسة أو الفرعية، وبيان مظاهرها المادية من حيث الشكل والصفات التي تميزها، كالطولِ، والعُمرِ، واللونِ [٢]، ويظهر ذلك واضحاً في أبياته التي يردد صداها شعراً مؤطرًا بأغاني الحياة وبلغته العذبة التي تهزم كل المستحيلات وتنفض أعباءها على ضفافٍ نائية، لتنقلنا إلى صورٍ شعرية مليئة بالتفاؤل وألفاظ التجدد والطموح، فنراه ينشد لشخصيات حالمة صورها في لوحةٍ جمعية اختصرت حواراً دار على لسان الشخصية الرئيسة وهي الشعراء قائلاً:

تمرُّ الغيومُ على الشعراء

فتعطي لكلِّ فتى منهمُ مطراً يشتهيه

فبعضٌ أراد فتاةً بطعم الحياة

وتمشي على الماء كالأنبياء ..))

(١) ينظر: حمادة، إبراهيم "هوامش في الدّراما والنقد" (مصر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م، ط١) ص:٤٢.

(٢) القنديلي، أحمد "الدّراما في الشعر العربي المعاصر" مقال منشور في صحيفة الحوار المتمدن، ٢٠١٨م.

يردد الشاعر هيثم الزبيدي وجهة نظره السابقة، بغائية الشعر المعهودة، والنزوع إلى مسايرة الأحداث نزوعاً فطرياً، فالشعر يبدأ بحدث يميل إلى الحكاية، فيتولد جمالية من خلال رغبة الشاعر في تجسيد الأحداث المتعددة، ووصف ما يدور في خلجات النفس من مضامين فلسفية عبر عنها بقوله:

(( وبعضٌ أراد ثيابا ملونةً مثل فصل الربيع

ليرمي بعيدا ثياب الحداد

ومن بينهم من أراد بلادا

من الخيزران....))

يُعرَّفُ الشاعر هيثم الزبيدي شخصية شعره بملامح جادة رسمها عبر وصفه للأشياء من حوله بجمالية وحرفية شعرية عالية، اختار لها دقة الألفاظ، وجميل المعاني الجياشة التي ترسم صورة الإنسان عند موقف التساؤل ؛ ليجيب باختصار قائلاً:

ولكني لذتُ بالصمت إذا سألوني:

– ماذا تريد؟

سئمت أكاذيبها في المساء...))

ويستمر الشاعر في تجسيد وتشخيص روحه الإنسانية الحالمة حيناً، والشعرية التي مازالت ترتع في ذاكرة الماضي بنخيله وسعفه وطين أراضيه، ليربط نفسه بالزمن وتقلباته المختلفة، فيردد:

((أنا ربع قرنٍ من أساي يشدني في كل درب

الأمس من سعفٍ وكرب

واليوم من سعفٍ وكرب

ردي ابتسامتكِ على أعقابها...

في كل شبرٍ ألف كوخٍ حالم بالسلم

والعنوان: حرب!)) [١].

ونراه ينشد للوطن أعذب الكلمات، مخاطباً إياه عند انبجاس الغروب بأروع صـــورٍ خياليـــة استعارية كما أنَّ الكتابة لا تنبثق من الفراغ، كما ان الرفض لا يكون إلَّا لشـــيء موجـــود [٢] قائلا:

((قف هاهنا أيها الوطن الغريب ...

وانظر إلى السعف الجريح يشوب مفرقه المشيب ...

انثر على شرفاتنا أقمارك الصفراء ...)) [٣].

كما أن الابداع الحقيقي لا يتحقق على يد شاعر يستدعي ذاته و همومه الشخصية، بل يتحقق بشاعر يراعي العالم و قضاياه الكبرى عندما يبتعد عن الأنا ليحقق انتماءه الإنساني[٤] ويستمر في ترديد الصوت الوطني ذاته...

يا وطني

يا حقل مواويلٍ ذبلت في أحداق جنودٍ

ساقوا بهجتهم للحرب

يا وطنا يضّاعف فيه الشهداء

---

(١) الزبيدي، هيثم كامل، ديوان ماقال لي أحدٌ هُزمت، المصدر السابق، ص:٢٣.

(٢) ينظر:الكبيسي، طراد "شجر الغابة الحجري" (الجمهورية العراقية: منشورات وزارة الإعـــلام، ١٩٧٥م، ط١) ص:٢٤.

(٣) الزبيدي، هيثم كامل "ديوان ما قال لي أحدٌ هُزمت، قصيدة (غريب وطن)" (الأردن، عمان: دار فضاءات النشرو التوزيع، ٢٠١٤م).

(٤) الغانم، رحيم زاير "موجبات الانكسار وتشظي المعنى في شعر هيثم الزبيديّ" مقال منشور في صـــحيفة المثقف، ٢٠١٩م.

كجدول ضرب

أطعمنا بعضا من شهدِك

ما ذقنا غير الشهداء

لنخبّر قافلة الصبح القادم

أنك قد غيرت الدرب (١).

يمكن القول إن الشخصية عند هيثم الزبيدي هي محور العطاء الوصفي الذي يبرز ملامحها الجوهرية العميقة والسطحية الظاهرة عبر مجسّات التعبير اللفظي، فتُساق الشخصية في شعره بانسيابية وعفوية بعيدة عَن ترسيمها تكلّفاً يُجهد المتلقي لفهم معانيها، ورصد حركاتها داخل النصوص الشعرية، ما يشكّل قمةً في الإبداع الصياغي الأدبي .

**البُعد الثاني:** الاجتماعي، ويتم عبره تحديد مواصفات البيئة والظروف الاجتماعية، كالأسرة والعمل ومستوى المعيشة أو الوظيفة والثقافة العامة، ونلمح ذلك واضحاً في شعر هيثم الزبيدي حيث يصور الشخصيات وفقاً لأبعادها الاجتماعية،مؤكداً على ضرورة تأسيس وبناء الملامح العامة لها، نرصد ذلك في قوله:

(( نتوسلُ دربك

من شرق الصفصافِ إلى أقصى هَمَساتِ الغربْ

نتلمَسُ خطوك

قمراً .... بل قمرين .... لننسى

نهراً .... بل نهرين .... لنروى

ويضيع بدهشتنا الدَربْ))

(١) الزبيدي، هيثم كامل، المصدر السابق، ص:٥٠.

كيف لشاعرٍ إنسانٍ مفعمٍ بالمشاعر والأحاسيس أنْ يبتعد عن وطنه بمحض إرادته،ويجبر على ترك حضن أمه العراق، ذلك الذي يتملك الروح،وتضيع بدهشة حبه كل الدروب ؛ ليقف على أعتاب الغربة غير مبال لما ستجرفه السنوات،وهو يتساءل بعمق عن معنى سامٍ خالد إلى الأبد قائلاً:

(( وطنٌ ؟؟

كلا ! ساحة حرب

مأمورٌ في القرية صاح

فانتفضت قطعانُ قبور

رَقصَت في غابة الصفصاف

غادرها الضوء

وجموعُ عصافير، متعبة، أعينها التوت

صاح الراعي:

يا بشرى ... اخضرّت أعواد التوت

ألواح التابوت المتروكة في باب المسجد)) [١].

يتمثل الهدف هنا في توظيف العناصر الدرامية الحديثة وتحليلها وفق أبعادها البنائية الملحمية. ومع ذلك لا يعني هذا بالضرورة تحولها إلى جنس أدبي موضوعي خالص، أو فقدانها للخصوصية الشعرية والجوهر العاطفي، فالشاعر يعبر عن الموضوعيات والواقع من خلال رؤيته الذاتية [٢].

(١) الزبيدي، هيثم كامل، ديوان شبّار الشوك، قصيدة لو أنزلنا هذا التابوت، ص:٥٩-٦٠.

(٢) الغرفي، حسن، النزعة الدرامية في شعر أدونيس، مقال منشور في صحيفة الإتحاد الاشتراكي، ٢٠١٩م.

التشكيل الفني للنصوص الشعرية ذات الطابع التركيبي الدرامي لم تظهر إلَّا بعد محاولات كثيرة من التجارب والإختبار، وقد تطلب ذلك وجود مقومات يتمتع بها الشاعر؛ مثل الموهبة الشعرية،ورؤية فنية واسعة، وغيرها من المقومات،التي تقدم تجربة شعرية استثنائية وفريدة من نوعها.

**والبُعد الثالث:** النفسي، وهو محصلة البعدين السابقين ونعني به ما يعتري الشخصية من عوامل نفسية، كالهدوء والانفعالات والتفاؤل والتشاؤم إلى ما ذلك من عوامل نفسية، ويبدو ذلك في شعر هيثم الزبيدي حين يختار شخوصه الدرامية بدقة ووعي ثاقبين، قائلاً:

((من خلفِ شبّاكِ الحياةِ

منازلٌ خرساءُ

ظلٌّ غفا تحت ارتعاشات الخريفْ

ويدٌ تشيرُ إلى الصليب

تومي إليّ بأنْ تعالْ ...

لكنني والله لم أقل أحد ...))[١]

يردد الشاعر هيثم الزبيدي من خلف شباك الحياة ذلك الصوت الدرامي المشبع بأحداث مضت وستأتي مستقبلاً ؛ لترسم خطوات الأجيال غير أن الشاعر وجد أنسه الوحيد في القصائد متخذاً من الرمز مادة درامية شعرية نجد فيها عمق ثراء المعنى فيقول:

((لم أقل إنَّ القصائد نسوتي

والفجرُ عند الفجرِ أطلق ضحكة خرساء فاغتيل له

أنا ما سرقتُ سوى عصاك

وعدوتُ حتى مزّق الخوفُ حياتي ....)) [١]

(١) الزبيدي، هيثم كامل، ديوان ما قال لي أحدٌ هُزمت، قصيدة صلاة الفزع، ص:87

نلحظُ أنَّ الشاعر عندما يختار الشخصية فإنَّهُ سوف يتخذها قناعاً يعبر من خلاله، وهذا الاختيار يعكس طبيعة الشاعر المعاصر، و لاسيما إذا كان مترجماً لنصوص الأدب الغربي وفق مناهج علمية وفلسفية، كما أنَّ اللجوء إلى القناع هو أداة تعبيرية فعالة في التعبير عن الواقع والعالم، فضلاً عن إنها تثري تجربته الشعرية.

وقد رسم الشاعر للشخوص أبعاداً فجعلها مقنعة وحيوية وفعالة، بها معالم الصراع جلية، تتطور بتطور تلك الشخصيات، فالبعد الجسمي (الفسيولوجي) هو العنصر المادي الذي رسم به شخوصه، ووضح معالمها فجعلنا نراها رؤيا العين، ورسم بُعدها الاجتماعي (السوسيولوجي) كوسيلة للإقناع بتلك الشخصية، فهي ترسم ما هو محدد لها داخل طوق اجتماعي هي جزء منه، أو تراه يوضح معالمها السيكولوجية، فتظهر ميول تلك الشخصية واضحة فتوضح سبب تصرفها داخل المنظومة الاجتماعية التي صاغها المؤلف من الواقع أو من وحي خياله.

**ثالثا: دراما الحوار:**

اهتم الشاعر هيثم الزبيدي بتقنية الحوار في بناء تلك الشخصيات،مرة فيما بينها مجتمعةً، أو بالحوار الداخلي (المونولوج) مرة أخرى، فظهر الحوار المباشر بين تلك الشخصيات في (قال، يقول، قالت ...)، أو نراه يُحدِث الطبيعة أو صاحباً وهمياً، فيظهر الحوار بعدّهِ ((جزءاً من البناء الدرامي ومحوراً له، فيطور الصراع والحبكة الدرامية داخل النص، وتكون أداة ينتقل بها بين الأحداث المختلفة، أو يظهر ملامح الشخوص من خلال الحوار، وقد يبني الحدث ويقيمه على معالم حوارية واضحة، ويحدد من خلال ذلك المكان والزمان أيضاً ) [٢]، بحيث نرى مدى التشابك بين عناصر الدراما داخل شعرهِ، إلى درجةِ أننا نلمح ترابطاً وثيقاً

---

(١) الزبيدي، هيثم كامل، ديوان ما قال لي أحدٌ هُزمت، قصيدة صلاة الفزع، ص:٤١-٤٢.

(٢) العجّان، أمجد لطفي "البناء الدّرامي في الشعر الجاهلي، (رسالة ماجستير: جامعة عين شمس، القاهرة – كلية الآداب، ٢٠١٢م) ص:٤.

بين الشعر والدراما بأركانها الثابتة، فنتحرك بين الأشكال الأدبية المختلفة بحرية حيث لا نرى فاصلاً، فالأدب هو مجرى نهر كبير تصبُّ فيه فروع من الأجناس الأدبية المختلفة، ويظهـــر الحوار ممزوجاً بأصواتٍ متعددة كما في قوله:

((في قلبي جنون البرد

في قلبي مفاتيحٌ رماها الشوق

يصدأ فوقها النسيان

مفاتيحٌ ترتلُ وحشة الاقفال في قلبي))

أحسن الشاعر هيثم الزبيدي التعبير عن وحشة ما مضى من ذكريات باختيار مـــتقن لأدوات البلاغة وتوظيفها في طرح الفكرة وإبراز الحدث الذي يميل إلى النزعة الدرامية في شخوصه وأحداثه وهو يرسم الأشياء بلغة التجسيد المادي التعبيري فنراه يردد قائلاً:

((ووردٌ يابس الأغصان مُذ غادرتِ عن عينيّ

مُذ أوغلتِ في قلبي

وفي قلبي ندىً وصقيعٌ

وأمطارٌ تداعب شعرك الموسوم بالصلوات

فيَجفُل سربُ أكواخٍ مطأطأةٍ كقافلةٍ من الأسرى

على أهدابك ويضيعْ

في قلبي صدى خطواتكِ تمشي

ويتبعها جنون ربيعْ

يبعثرُ في خطاكِ الماس ...

فتزهر قربك الأنفاس

وفي قلبي مطاطبُ آس))[١].

نجد ان الحوار للوهلة الأولى بسيطٌ و عاديٌ مثل الكلام اليومي الذي يظهر تلقائياً، و هذا مألوف لدى الشاعر الريفي الذي يتميز بالهدوء و البساطة، ما يسهل قبوله من دون الحاجة إلى صراع المفردات .

**الخاتمة:**

وختاما نقول إنَّ تجربة الشاعر هيثم الزيدي قد اكتسبت تميزاً واضحاً ضمن المشهد الشعري العراقي المعاصر، كما تبين من خلال تحليل النصوص أنَّ الشاعر يمتلك قدرة فنية في توظيف العناصر الدرامية داخل النص الشعري بحيث تتحول القصيدة إلى مشهد حيَّ ينبض بالانفعالات والصراعات الداخلية والخارجية،دون أنْ تبتعد عن هويتها الشعرية. كما كشف البحث أنَّ الفضاء الدرامي في نصوص الزبيدي ليست مجرد إطار مكاني أو زماني، بل هو آلية ديناميكية في خلق الانفعالات والتحولات داخل النسيج الشعري للنص، كما أنَّ الشخصيات الشعرية في قصائده لا تتشكل بشكل نمطي، بل تأتي بشكل كائنات شعرية تعبر عن قضية وجودية وتخوض انفعالات وصراعات تظهر في الفضاء الشعري، أمَّا الحوار فكان يظهر كوسيلة دلالية تمثل الصراع سواء كان داخليا أو خارجيا في مخاطبة الآخر،كما أنه أداة فنية أساسية لبناء النص الشعري و إكسابه بعداً درامياً، وهذا أعطى القصيدة طابعا مشهدياً معبراً ومؤثراً في المتلقي .

(١) الزبيدي، هيثم كامل، ديوان شبار الشوك، قصيدة في قلبي، ص:٧٩-٨٠.

## المصادر:


- السيرة الذاتية للشاعر هيثم الزبيدي، مجلة افاق حرة للثقافة، بغداد، د.ن، د.ت )
- ديوان شبار الشوك، هيثم الزبيدي، الأردن، عمان، ٢٠١٤ .
- معجم المصطلحات الدرامية و المسرحية، حمادة إبراهيم، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ط٣،١٩٩٤ .
- النزعة الدرامية في الشعر الأردني المعاصر، رسالة ماجستير، جامعة مؤته، الأردن، ٢٠١٢ .
- السردي في الشعر العربي الحديث، فتحي النصري
- فن القص في النظرية و التطبيق، سلسلة الدراسات النقدية، نبيلة إبراهيم، القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٩٠ .
- الدلالة المرئية، قراءة شعرية القصيدة الحديثة، علي جعفر العلاق، عمان دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢ .
- القصة الشعرية في العصر الحديث، عزيزة مريدان،الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٤ .
- ديوان ( ما قال لي احدٌ هزمت )، قصيدة (افيقي من الحرب )، هيثم الزبيدي، الأردن، عمان، دار فضاءات للنشر و التوزيع، ٢٠١٤ .
- المكان في الرواية الفلسطينية بعد أوسلو، عدوان نمر عدوان، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥ .
- البيئة الدرامية في شعر المهجر، مجدي عبد المومن دوام، القاهرة، دار الكتب ٢٠٠٧ .
- الصورة الشعرية، سيسيل دي لويس، ترجمة احمد نصيف الجنابي، سلمان حسن إبراهيم ومالك ميري، بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢ .
- التوليف (المونتاج) في الشعر العربي المعاصر،مجلة كلية التربية الأساسية، العراق، ع: ٥٣، ١٩٨٢ .
- بناء الرواية، عبد الفتاح عثمان، مسكو، مكتبة الشباب، ١٩٨٢ .
- هوامش في الدراما و النقد إبراهيم حمادة، مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٩٨٨ .
- الدراما في الشعر العربي المعاصر، احمد القندلي، مقال منشور في صحيفة الحوار المتمدن، ٢٠١٨.

- شجر الغابة الحجري، طراد الكبيسي، الجمهورية العراقية، وزارة الاعلام، ١٩٧٥ .
- البناء الدرامي في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس ن القاهرة، كليـــة الاداب، ٢٠١٢ .
- هيثم كامل الزبيدي،(Haitham Zubbaidi)، صفحته الرسمية، منشور في الثاني عشـــر من تشرين الثاني، ٢٠٢٠م.
- وعي الحداثة، دراسة جمالية في الحداثة الشعرية، سعد الدين كليب، منشورات اتحـــاد الكتـــاب، دمشق، ١٩٩٧ .